الأدب اللاتيني القديم

يعد الأدب اللاتيني نتاج الجمهورية والإمبراطورية الرومانيتين، وبعد سقوط روما ظلت اللاتينية لغة العالم الغربي الوسيط حتى حل محلها ما تفرع عنها وعن غيرها من اللغات. بدأ الأدب أول ما بدأ بترجمة الأدب الإغريقي، وإذا كان الإغريق متفوقين في النواحي التجريدية، فإن للرومان رؤية حسية تنير التعتيم الإغريقي بشواهد حيّة، ولكونهم شديدي الاهتمام بالفردية الإنسانية، تجلت عبقريتهم في المناحي الأخلاقية والسياسية، وكان مثلهم الأعلى مضمون كلمة "إنساني" باعتبارها مزيجا من الثقافة واللطف والرقة.

وقد كان الشعر عندهم قديما يمدح الأبطال ويغنى بعد الولائم بمصاحبة المزمار (الفلوت)، كما نجد بعض الأشعار غير المنمقة المرتجلة في احتفالات الحصاد والأعراس وبعض الصيغ التي كانت تردد كطقوس دينية، ولكن القليل الذي وصلنا منها يحتوي على الجناس والسجع، وأقرب الكتابات إلى الأدب كانت بدون شك السجلات العامة والخاصة والخطب التي دونت.

مراحل الأدب اللاتيني القديم

يمكن تقسيم الأدب اللاتيني إلى أربع مراحل، وهي:

1- مرحلة الكتاب الأوائل حتى عام 70 ق. م: بدأت مرحلة الإعداد للأدب الروماني بالاستيلاء عام 272 ق. م على المستعمرة الاسبارطية تارنتوم (Tarentum) وما تلاه من تدفق العبيد الإغريق الذين استخدم بعضهم لتعليم أبناء النبلاء الرومان، وكان في عدادهم ليفيوس أندروميكس (Livius Andromicus) الذي اشتهر بعد ذلك ولمع كأول كاتب لاتيني. وألف عام 240 ق. م مسرحية أصيلة حورها عن الإغريقية بمناسبة الاحتفال بالنصر على قرطاجة، وأدى نجاحه إلى إحداث تقليد لعرض مثل هذه المسرحيات جنبا إلى جنب مع العروض الوطنية الأكثر بساطة وبدائية، كما قام بترجمة الأوديسة بعد أن كيف العروض اليونانية لتناسب اللاتينية.

وازداد الأثر الإغريقي بعد ضم اليونان كولاية رومانية وما حدث من تدفق العلماء الإغريق إلى روما، وسرعان ما أصبحت اليونانية اللغة الثانية للرومان المثقفين. وفي أوائل القرن الأول قبل

الميلاد تأسست الخطابة اللاتينية، وبتأثرها بالإغريقية أصبحت أرفع فنا وأكثر صقلا. ويعتبر بلوتوس (Plautus) وهو أكبر شاعر كوميدي، أحد المصادر الرئيسية للاتينية الدارجة...

2- مرحلة العصر الذهبي(70 ق. م - 18 م): امتدت الفترة الذهبية للأدب اللاتيني بدءا من السنوات الأخيرة للجمهورية حتى التأسيس الفعلي للإمبراطورية الرومانية تحت حكم الإمبراطور أغسطوس (Augustus) (27 ق. م- 14 م) وسمي بحق الجزء الأول من تلك الحقبة (من 70 - 42 ق. م) الفترة الشيشرونية (Ciceronian)وكان نتاجها كتابا بارزين اتصفوا بإسهامهم في الأحداث أمثال يوليوس قيصر. ويعتبر فارو (Varro) أكثرهم إنتاجا. إلا أن الذي طور اللاتينية لتعبر بوضوح عن الفكر التجريدي والمعقد هو شيشرون السياسي والخطيب والشاعر والناقد والفيلسوف، وتبعا لذلك أصبح الأسلوب النثري ما بين رد فعل ضد أسلوبه أو عودة إليه، ومع أنه لم يكن ملهما كشاعر إلا أنه كان حاذقا في أسلوبه وألف كتابه "دير يروم ناتورا" (De rerum natura) حول الشاعر الفلسفي لوكريتيوس (Lucritius)... وبعد تدمير قرطاجة وكورنثة عام 146 ق. م أدى الرخاء والشعور بالاستقرار والأمن الخارجي إلى ظهور مبدأ الفراغ والراحة الشخصية وفكرة العيش لذات الإنسان، ومن هنا نشأ أدب التعبير الشخصي وأدب التسلية. وفي هذا المناخ ازدهرت مدرسة الشعراء الجدد التي ضمت بشكل عام ايطاليين غير رومانيين من الشمال، أدخلوا مبدأ الفن للفن، ولا يعرف من هؤلاء الشعراء مباشرة سوى كاتولوس (Catullus) من فيرونة (Verona) واستمر أثرهم إلى جيل فرجيل صاحب "الانياذة" و"أناشيد الرعاة".

وعندما أحرز أغسطوس نصره النهائي عام 30 ق. م بدأت المرحلة الثانية من العصر الذهبي للأدب اللاتيني المعروفة بالعصر الأوغسطي، وسميت هذه الحقبة بالفترة الكلاسيكية التي تطلب من الكاتب أن لا يحاول أن يقول أشياء جديدة بقدر ما يقول الأشياء القديمة بشكل أفضل. وهذا ما أدى إلى التمكن من الوسائل البلاغية أسلوبا وفكرا حتى أصبحت سليقة، وأدى هذا إلى استعمال السجع ومطابقة الجرس والصوت للمعنى، وهما وسيلتان بيانيتان اشتط شعراء مدرسة انيوس في استعمالهما وتجنبهما الشعراء الجدد، وكان استخدامهما هذه المرة بتعقل وبشكل مؤثر.

ويميز هذا الإتقان للصيغة قصائد هوراس الغنائية من نوع "الأود" بما في ذلك المرثاة التي أصبحت أكثر صقلا.

2- مرحلة العصر الفضي (18م – 133م): بعد الدفقة الأولى من الحماسة للمثل الأغسطية للإحياء القومي، دفع الأدب خلال فترة الإمبراطورية ثمن الأبوة السياسية فغدا عقيما بفقد الحرية، وكان "أوفيد" الأول في عداد الكثيرين من الكتاب الذين تجلى فيهم الكبت. أما "تاستيوس" و"جوفنال" اللذان كتبا في ظل حكم أباطرة متسامحين فحولا العواطف المكبوتة عهد حكم الرعب للإمبراطورة دوميسيان إلى قوة ساحقة من الأدب العظيم... لكن عنوان العصر الفضي أطلق بجدارة على قرن كان نتاجه مؤلفون أمثال "تاسيتوس" و"جوفنال" و"سنكا" الأكبر و"كونتليان" و"بترونيوس" و"ستانيوس" و"مارشال"...

4- مرحلة الكتاب المتأخرون: أضعف فقدان المركزية في الإمبراطورية الرومانية تحت حكم هادريان (Hadrian) وخلفائه من سلالة أنطونين (Antonine) الكبرياء الروماني، فتعشق الرومان الحرية، ومن ثم الكتابة بالإغريقية واللاتينية... وأثرت الحركة السفسطائية الجديدة في اليونان على الشعراء الجدد أمثال فلورس (Florus)، وفي هذه الفترة مازج الأدب المسيحي الأدب الوثني وتخطاه في بعض الجوانب.